سلسلة آفات اللسان

آفة السب

في ميزان الشرع

إعداد

د/ خالد جمال أحمد حسن

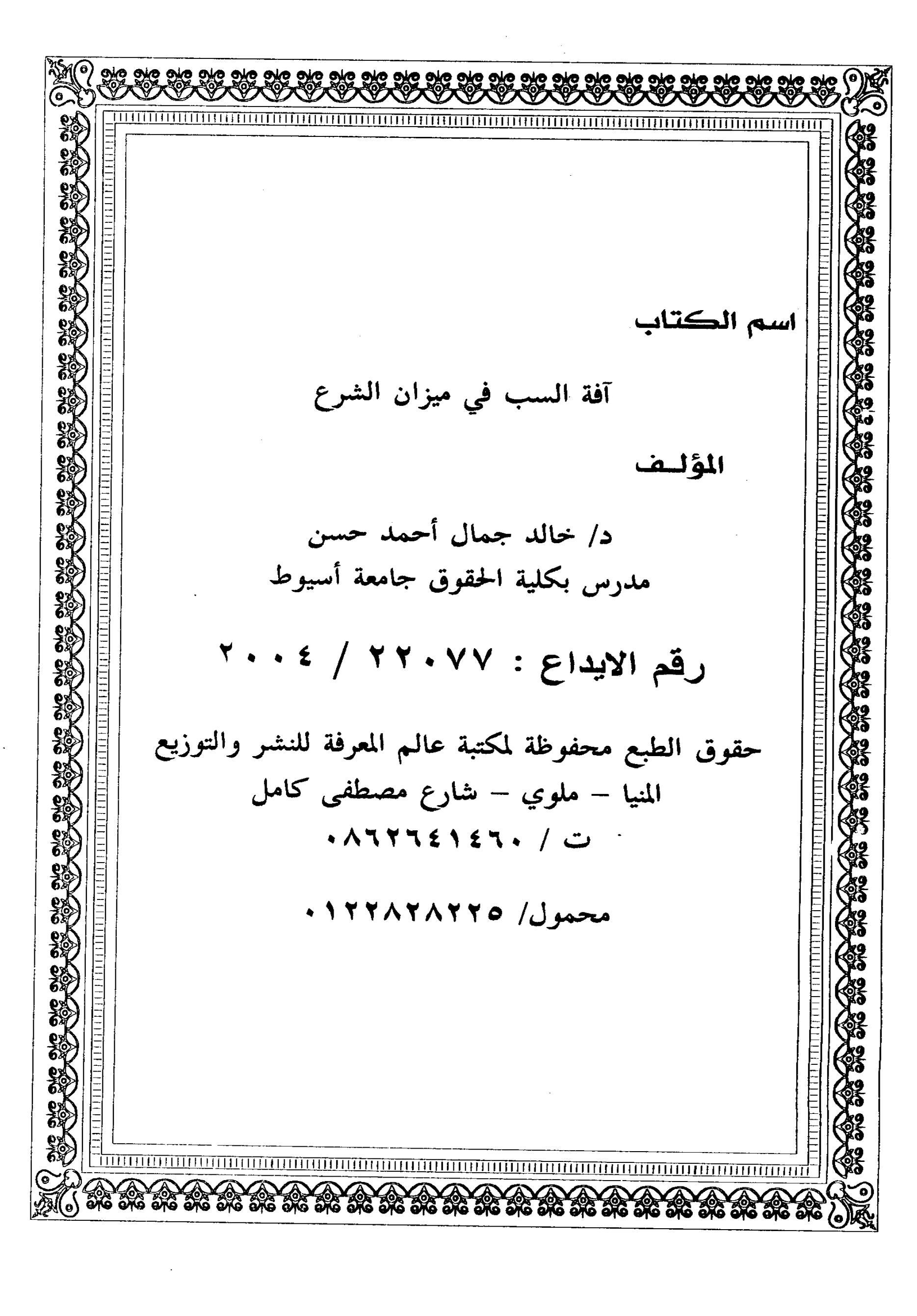
كلية الحقوق جامعة أسيوط

الناشر

مكتبة عالم المعرفة للنشر والتوزيع

المنيا – ملوي – شارع مصطفى كامل ٧

ت / ٠٨٦٢٢٦٤١٤٦٠



اسم الكتاب

آفة السب في ميزان الشرع

المؤلف

د/ خالد جمال أحمد حسن
مدرس بكلية الحقوق جامعة أسيوط

رقم الايداع : ٢٢٠٧٧ / ٢٠٠٤

المنيا - ملوي - شارع مصطفى كامل
ت / ٠٨٦٢٢٦٤١٤٦٠

محمول/ ٠١٢٢٨٢٨٢٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا جرم أن الإسلام دين الأخلاق والفضيلة ، فهو يُرغِّبُ في معالي الأخلاق ومحاسنها ، ويرهِّب من رذائل الأخلاق وسفاسفها ، وقد بعث الله عز وجل محمدا ﷺ ليجدد للإنسانية بناءها الأخلاقي – الذي سبق أن تتابعت عليه جهود إخوانه من الأنبياء والرسل السابقين، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام – ويتمم دعائم وأركان هذا البناء الأخلاقي ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول عن نفسه : «**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**» (١) .

وكيف لا يحمل رسول الله ﷺ للإنسانية جمعاء لواء الأخلاق فيها ، وهو من شهد له ربه بالخلق العظيم من فوق سبع سموات ، إذ يقول جلَّت قدرته ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقد روى عن جبير بن نفير قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : كان خلقه القرآن (٢) ، كما روى عن عبدالله الجدلي أنه قال : سألت عائشة –رضي الله عنها – عن خلق النبي ﷺ، فقالت : لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ، ولا صخابًا في الأسواق ، ولا يجزئ السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح (٣) .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أفٍ قط ، وما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعته ، ولا لشيء تركته لِمَ تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا ، ولا مسست خَزًّا (٤) ولا حريرا ولا شيئا

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، ص٦٩٠، طبعة دار الحديث بالقاهرة . وقد ذكر الإمام مالك أن ابن عبد البر قرَّ أن هذا الحديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره .

(٢) سنن أبي داود المجلد الأول، الجزء الثاني، برقم ١٣٤٢ ص٤٠، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المولود في ٢٠٢ هـ – المتوفى في ٢٧٥ هـ، مراجعة وضبط محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.

(٣) رواه الترمذي : وقال : هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي ج٤، رقم ٢٠١٦، ص٣٢٤، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المولود ٢٠٩ هـ، المتوفى ٢٩٧ هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت

(٤) الخز : واحد الخزوز من الثياب، انظر في ذلك (مختار الصحاح)، ص١٧٤، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار القلم، بيروت، لبنان .

كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كانت أطيب من عَرَقِ رسول الله ﷺ (١) .

فما من فضيلة إلا ودعي إليها الإسلام وحض على التمسك بها والتحلي بها ، وما من رذيلة إلا نفرَّ منها الإسلام ، ورهب من مقارفتها والتلطخ بأرجاسها ، وقد حظيت الأخلاق بجل اهتمام الإسلام وعنايته ، وكيف لا وقد جعلها أفضل الطاعات وأعظم الصالحات ثقلا ووزنا في ميزان حسنات المرء يوم القيامة ، حيث ينال بها الدرجات العلى من الجنة ، حتى أن المؤمن ليبلغ بفضلها وعلو مقامها عند الله عز وجل درجة الأنبياء والصديقين والشهداء في الجنة يوم القيامة ، وفي ذلك يقول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه : «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**» (٢) ، ويقول أيضا : «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء**» (٣) .

وقد روى سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**» ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال : «**الفم والفرج**» (٤) ، كما روى عنه أيضا أن رسول الله ﷺ «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا**» (٥) ، وقد روى عن عبدالله بن عمرورضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**خياركم أحاسنكم أخلاقا**» ثم قال : ولم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا (٦) ، وقد نصح رسول الله ﷺ سيدنا أبا ذر الغفاري رضي الله عنه قائلا له : «**اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن**» (٧) .

---

(١) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي جـ٤ ، برقم ٢٠١٥ ، ص٣٢٣، ٣٢٤ .

(٢) رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب ، سنن الترمذي ، جـ٤ ، برقم ٢٠٠٣ ، ص٣١٩ .

(٣) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي ، جـ٤ ، رقم ٢٠٠٢ ، ص٣١٨، ٣١٩ .

(٤) رواه الترمذي وقال : هذا حديث صحيح غريب ، سنن الترمذي ، جـ٤ ، رقم ٢٠٠٤ ، ص٣١٩ .

(٥) رواه الدارمي ، جـ٢ ، ص٣٢٣ .

(٦) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، جـ٤ ، برقم ١٩٧٥ ، ص٣٠٨ .

(٧) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، جـ٤ ، برقم ١٩٨٧ ، ص٣١٢، ٣١٣ ، كما رواه الدارمي ، جـ٢ ، ص٣٢٣ .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ أيُّ الناس أفضل؟ قال: **«رجل يجاهد في سبيل الله»** قالوا: ثم من؟ قال: **«ثم مؤمن في شِعْب من الشعاب يتقى ربه ويدع الناس من شره»** (١) ، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون** (٢) ، والمتشدقون (٣) ، والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال: **«المتكبرون»** (٤) .

وقد جعل الإسلام سوء الأخلاق سببا في البعد عن الله عز وجل وسبيلا إلى نيل غضبه واستحقاق عذابه وعقابه ، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة والبذاء** (٥) **من الجفاء ، والجفاء في النار»** (٦) ، ذلك أن المرء إذا ساءت أخلاقه كثرت ذنوبه ومعاصيه ، وكثرة الذنوب والمعاصي قد تكون سببا في هلاك المرء وشهر إفلاسه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يتجرع فيه المرء مرارة سوء الأخلاق ويتحسر على ضياع حسناته بسببها، وحينئذ لا ينفعه ندمه ولا تفيده حسرته ، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«أتدرون من المفلس»** ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال رسول الله ﷺ : **«المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فَيَقْعُدُ فيقتص هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»** (٧) .

فالمرء مهما اجتهد في الطاعات ونشط في إتيان الصالحات لا ينجو مع فساد أخلاقه

(١) رواه الترمذي، وقال: وهذا حديث صحيح، جـ٤، برقم ١٦٦٠، ص١٦٠ .
(٢) الثرثارون: جمع ثرثار وهو كثير الكلام .
(٣) المتشدقون: جمع متشدق وهو من يتطاول على الناس في الكلام ويتعالى عليهم .
(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب، جـ٤، برقم ٢٠١٨، ص٣٢٥ .
(٥) البذاء : هو الفحش في القول .
(٦) رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح، جـ٤ برقم ٢٠٠٩، ص٣٢١ .
(٧) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٤، برقم ٢٤١٨، ص٥٢٩، ٥٣٠ .

ورداءة سلوكياته ، فهو مثله كمثل عبد زرع أرضه فأحسن زراعتها فكثر خيرها ورزقها ، ثم بعد أن جمع هذا الخير الكثير رمى بشعلة من نار فيه فجعلته كالرميم تذروه الرياح فتجعله يتطاير في الهواء كالهباء المنثور ، ولذلك لما قيل للنبي ﷺ أن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال ﷺ: «**هي في النار**» ، قيل فإن فلانة تصلي المكتوبة ، وتصوم رمضان ، وتتصدق بأثوار من إقط ، ولا تؤذي أحدًا ، قال هي في الجنة (١) ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه**» (٢)، فالحياء من معالي الأخلاق ومحاسنها ، في حين أن الفحش من براثن الأخلاق وسفاسفها . فليحذر كل عبد أن الله مطلع عليه يراه من حيث لا يراه ، وأن ملائكة الله يحصون عليه كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو غيرهما في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] ، ويقول أيضا ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢]. ويقول أيضا: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ:٢٩].

ويصف لنا الحق تبارك وتعالى حسرة المجرمين ودهشتهم عند معاينة كتبهم قائلا: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

فلندرأ عن أنفسنا مغبة العقاب وشدة الحساب بالبعد عن أرذل الأخلاق من سب وقذف ولعن وغيرهم من مساوئ الصفات والأخلاق ، والتحلي بأحسن الأخلاق وأجملها ، حتى يصدق فينا ما أراده رسول الله من أمته من مراعاتها لجانب الحياء من ربها وخالقها بترك المعاصي والذنوب ، فقد روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قال: قلنا يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله ، قال ﷺ «**ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، جـ٤، كتاب البر والصلة، ص١٦٦، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، جـ٤، برقم ١٩٧٤، ص٣٠٧ .

الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»(١) .

ولا جدال في أن آفة السب تمثل جانبًا خطيرًا من آفات اللسان وشروره (٢) ، إذا ابتلى العبد بها كانت كفيلة بأن تهلكه وتودي به إلى النار والعياذ بالله ، إن لم يتب من قريب منيبا إلى ربه مستغفرا إياه . لا مراء في أن السِّب (بكسر السين) سلوك سقيم وخلق ذميم ينبئ عن شخصية سيئة وطبع رديء ، فهو ينخر في إيمان العبد ويقدح في خلقه وتقواه ، فيتهاوى بسببه من مراقي الإيمان ودرجات الفضيلة إلى براثن الضلال ودركات الرذيلة ، لذلك فقد حرمه الإسلام وذمَّ فاعله أيما ذم ، حيث جعله علامة على الفسق والنفاق الذي يخرج به مرتكبه من بستان الأخلاق المحمدية إلى حظيرة الرذائل الشيطانية .

ومما تجدر ملاحظته أن السباب كله حرام أيًا كانت عباراته أو صوره ، لما يتضمنه من قدح أو جرح في شخص من يتعرض له بألفاظ نابية وعبارات بذيئة فاحشة ، غير أن شناعته ودرجة حرمته لتتباين تبعًا لتعاظم حرمة من وجه إليه .

---

(١) رواه الترمذي، جـ٤، برقم ٢٤٥٨، ص٥٥٠ .

(٢) فالمرء إن وفقه الله عز وجل ورضى عنه رزقه حسن استعمال لسانه، لينال من الله الدرجات العلى، وكيف لا ورسول الله ﷺ يقول لنا: **«من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين فخذيه أضمن له الجنة»**، (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، انظر في ذلك إلى فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، جـ١١، برقم٦٤٧٤، ص٣٠٨، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، كما سئل رسول الله ﷺ أيُّ المسلمين أفضل؟ فقال ﷺ: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»** (رواه الترمذي، وقال هذا الحديث صحيح غريب، جـ٤، برقم ٢٥٠٤، ص٥٧٠) . وقد بلغ من خطورة اللسان وجسامة خطبه أن بقية الجوارح والأعضاء لتستعيذ بالله تعالى من شره وتستجير به من ويلات عواقبه، بل وتصمه بالجحود والكفر بنعم الله وفضله، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، وتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»** (رواه الترمذي، جـ٤، برقم ٢٤٠٧، ص٥٢٣) . فالناس يتأذون عادة من صاحب اللسان البذيء، ويحرصون دائما على اتقاء شره وتجنب فحشه وبَذَاءَته، فيضحي بذلك من شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى، يقول الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه-: **«إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس لاتقاء فحشه»** (رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٧٩١، ص٢٥١) وجاء لدى البخاري بلفظ: «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» (انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ١٠، برقم ٦٠٣٢، ص٤٦٧، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الطبعة السلفية بالقاهرة، دار الريان للتراث) .

الفصل الأول
سباب الله تعالى

لا جرم أن من أبشع صور السباب وأفظعها على الإطلاق أن يسب العبد الحقير خالقه ومعبوده أو يتطاول بهذا السلوك البشع على اسم من أسمائه أو صفة من صفاته خلافا لما يليق به من كمال وإكبار وإجلال ، أو أن يتعرض لكتب الله عز وجل، أو أنبيائه ورسله، أو ملائكته بالطعن والتجريح، فهو بسلوكه المهين وتطاوله الفظيع يمرق من الدين مروق السهم من القوس ، فيصير به كافرا مرتدا يجازى بالقتل جزاء وفاقا إن لم يتب عن فعله ويَنْتَهِ عن غيه وضلاله وكفره ، هذا إن كان المتساب مسلما ، وإن كان غير مسلم صار دمة مهدرًا بفعله ويتعين قتله..

ومما يدمى لك القلب ويفطره أنك كثيرا ما تبتلى بسماع بعض الجهال والحمقى الذين لا يحملون من الإسلام سوى اسمه فقط ، يتبادلون فيما بينهم عبارات السب والطعن في دين الله عز وجل ، وهم يجهلون الخطورة الكبرى لمثل هذا التصرف على دينهم وإيمانهم [1] ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**» [2] .

ويزِيْدُ لديك العجب غيظا وحنقا على هؤلاء الحمقى أنك ترى الواحد منهم لا يجرؤ على أن يسب التراب الذي يمشى عليه عبد حقير مثله أمام ناظريه إذا كان ذا نفوذ أو سلطان مخافة أن يبطش به ، ثم يتطاول على الجبار صاحب البطش الكبير فيسبه أو يسب دينه ، وهو على يقين من أنه يسمعه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ولا يثنيه ذلك عن جرمه الشنيع وفعله الفظيع بلا أدنى حياء أو خجل ، فيجعل بذلك ربه جلت قدرته أهون

---

(١) ولا شك أن هؤلاء يصدق فيهم قول القائل: «إن كثيرا من الناس مسلمون بالهوية أو مسلمون لأنهم ولدوا من أبوين مسلمين، وهؤلاء وأولئك لا يدركون معنى انتمائهم للإسلام ولا يعرفون متطلبات ومستلزمات هذا الانتماء، لذلك تراهم في وادٍ والإسلام في وادٍ آخر» (انظر: أ/ فتحي يكن «ماذا يعنى انتمائي للإسلام» ص٥ ، الناشر مؤسسة الرسالة) .

(٢) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٤، برقم ٢٣١٩، ص٤٨٤ .

الناظرين إليه ، وصدق الله عز وجل إذ يتعجب من جحود مثل هذا العبد الجاحد لما ينبغي لربه من هيبة ووقار قائلا ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح :١٣-١٨] ، فيا ويله من عذاب الله إن لم يتب هو وأمثاله ، ويا ثبورهم جميعا في الآخرة إن لم ينتهوا عن هذا الغي والضلال المبين .

ولقد بلغ من فظاعة سباب العبد لربه ، أن الله عز وجل حرم على المؤمنين سباب الآلهة الزائفة التي يزعمها أهل الكفر والضلال رغم أنها أليق بكل مظاهر السباب والطعن والتجريح ، حتى لا يتخذه الكافرون ذريعة وسببا للتطاول على الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، بالسب والطعن أو بما لا يليق لجلاله وكماله ، ردا على المؤمنين وانتقامًا لعقائدهم الباطلة وانتصارا لآلهتهم الزائفة المزعومة ،

حيث يخاطب الله عز وجل عباده المؤمنين ناهيا إياهم عن سباب آلهة الكفر والضلال قائلا : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام :١٠٨] .

* * *

الفصل الثاني

سباب رسول الله ﷺ

ولا مراء في أن سباب رسول الله ﷺ (أو أسباب غيره من الرسل والأنبياء) ذنب عظيم وجرم كبير من كبائر الذنوب وعظائم الآثام التي تورد فاعلها موارد الكفرو الضلال ، ولذلك فإنه لا يتصور أن يقع مثل هذا الذنب البشع إلا من كافر معلوم الكفر أو منافق معلوم النفاق ، وكلاهما من أهل الدركات السفلى من النار ، مادام لم يحدث أيٌّ منهما توبة نصوحا من هذا الفعل الأثيم.

ولا غرو أن من يتجرأ على شخص رسول ﷺ بالسب أو الطعن يستأهل القتل حدا إن كان مسلما إذ يصير بفعله هذا مرتدا عن الإسلام ، فيستتاب فإن لم يتب يتعين قتله ، وإن كان المتساب غير مسلم فإنه يصير بجرمه في حق رسول الله ﷺ مهدور الدم ، فهذا ما قضى به رسول الله ﷺ في غير مرة حينما عرض عليه أمر من تطاول عليه من الكفار والمشركين بالشتم والسب ، نذكر على سبيل المثال الأدلة الآتية :

١ - روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن أعمى كانت له أم ولد (أي زوجة كتابية) تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ، ويزجرها فلا تنزجر ، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المِغْوَل [(١)] فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها ، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم ، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فجمع الناس (ليتقصى الحقيقة عن تلك القصة التي سمع بها) وقال ﷺ **«أنشد الله رجلا فعل ما فعل ، لي عليه حق إلا قام»** فقال يا رسول الله: أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رقيقة ، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المِغْوَل فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها ، فقال النبي ﷺ : **«ألا اشهدوا إن دمها هدر»**[(٢)].

---

(١) المغول (بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الواو هو سيف قصير يضعه الرجل تحت ثيابه، وقيل: هو حديدة دقيقة لها حد ماض، وقيل: هو سوط في جوفه سيف دقيق يشده القاتل على وسطه ليغتال به الناس .

(٢) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٣٦١، ص١٢ .

وقد علق الإمام السندي على قول النبي ﷺ : «إن دمها هدر» بعد سماع قول زوجها الذي قتلها قائلا : لعل رسول الله ﷺ قد علم صدق قوله فحكم عليها بذلك ، ثم أردف قائلا إن هذا الحكم من رسول الله ﷺ وسلم فيه دليل على أن الذمي إذا لم يكف لسانه عن سب الله - عز وجل - ورسوله ﷺ فلا ذمة له فيحل قتله والله أعلم (١) .

٢ - روى عن جدير عن مغيرة عن الشعبي عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال : إن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل رسول ﷺ دمها (٢) .

٣ - روى عن أبى برزة الأسلمي أنه قال : أغلظ رجل القول لأبى بكر الصديق رضى الله عنه عنه ، فقلت لأبى بكر أقتله ، فانتهرني أبو بكر وقال : ليس هذا (أي أن القتل للسب أو الطعن) لأحد بعد رسول ﷺ (٣) .

٤ - وقد أخرج ابن المبارك عن حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة أن غرفة بن الحارث الكندري رضى الله عنه - وكانت له صحبة مع النبي ﷺ - سمع نصرانيا يشتم النبي ﷺ فضربه ودقَّ أنفه ، فرفع إلى عمرو بن العاص أمره شاكيًا ، فقال عمرو بن العاص : لغرفة : إنا أعطيناهم العهد ، فقال غرفة : معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي ﷺ ، وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون

---

(١) انظر في ذلك : سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، جـ٤ ، ص١٠٧ ، ١٠٨ ، طبعة عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ ، دار الحديث بالقاهرة .

(٢) رواه أبو داود ، المجلد الثاني الجزء الرابع ، برقم ٤٣٦٢ ، ص١١٢٩ ، وذكره الإمام الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار) جـ٧ ، ص٣٧٩ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

(٣) رواه النسائي ، انظر : سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، جـ٤ ، ص١٠٩ ، كما رواه أبو داود بلفظ قال أبو برزة الأسلمي : كنت عند أبى بكر الصديق رضي الله عنه فتغيظ على رجل فاشتد عليه ، فقلت : تأذن لي يا خليفة رسول الله ﷺ أضرب عنقه؟ قال أبو برزة : فأذهبت كلمتي غضبه ، فقام فدخل فأرسل إليَّ فقال : ما الذي قلت آنفا؟ قلت : ائذن لي أن أضرب عنقه ، قال : أكنت فاعلا لو أمرتك؟ قلت : نعم ، قال أبو بكر لا والله ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ ، قال أبو داود : هذا لفظ يزيد بن زريع ، ثم قال أبو داود : قال أحمد بن حنبل : أي لم يكن لأبى بكر أن يقتل رجلا إلا بإحدى الثلاث التي قالها الرسول ﷺ : كفر بعد إيمان ، أو زنًا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير نفس ، وكان للنبي ﷺ أن يقتل انظر في ذلك : سنن أبى داود ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، برقم ٤٣٦٣ ، ص١٢٩ ، ١٣٠ .

فيها ما بدا لهم ، وأن لا نحملهم مالا يطيقون . وإن أرادهم عدو قاتلنا دونهم ، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتونا راضين بأحكامنا فنحكم فيهم بحكم الله -عز وجل- وحكم رسول الله ﷺ ، وإن اغتنوا لم نعرض لهم ، فقال عمرو بن العاص : صدقت [١] .

* * *

(١) ورد ذلك في الاستيعاب جـ٣ ، ص١٩٣ ، وأخرجه البخاري في تاريخه عن نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارك عن حرملة بإسناده ونحوه وإسناده صحيح ، كما جاء في الإصابة جـ٣ ، ص١٩٥ ، مشار إليه في كتاب حياة الصحابة للكاندهلوى جـ٢ ، ص٣٣١ ، طبعة عام ١٩٧٨م ، دار المعرفة . بيروت - لبنان .

الفصل الثالث

سباب صحابة رسول الله ﷺ

لا جرم أن سباب صحابة رسول الله ﷺ يعد من أعظم أنواع السباب جرما وأكثرها إثما بعد سباب الله تعالى ورسوله ﷺ ، وكيف لا وهم أعظم الخلق من الأمة المحمدية بعد رسول الله ﷺ ، ولذلك فقد عدَّ الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي سباب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كبيرة من كبائر الذنوب ، تجلب على مقترفيها سخط الله -عز وجل- في الدنيا وعذابه الأليم في الآخرة ، إن لم ينتهوا عن غيِّهم ولم يرجعوا عن ضلالهم المبين .

فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم مصابيح هذه الأمة وشموعها المتوهجة التي إن اقتدينا بأيِّها اهتدينا ، وكيف لا وهم الذين استحقوا من الله -عز وجل- المدح والثناء في الدنيا والمغفرة والرضوان في الآخرة ، وها أنا أقدم لك أيها القارئ الكريم قطوفا طيبة ومباركة من الآيات البينات التي تحمل في ثناياها وبين طياتها أسمى معاني المدح والثناء الإلهي من الملك الحق تبارك وتعالى على صحابة الرسول ﷺ :

١ - قوله تعالى : ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ (١) مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨] .

٢ - قوله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨-١٩] .

٣ - قوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ

(١) ساعة العسرة: أي ساعة الضيق، ويقصد بها غزوة تبوك .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح :٢٩] .

٤ - قوله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة :١٠٠] .

٥ - قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر :٨-٩] .

٦ - قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب :٢٣-٢٤] .

٧ - قوله تعالى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى :٣٦-٣٩] .

٨ - قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر : ٩] .

٩ - قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة :١٥-١٧] .

فقد روى عن سيدنا بلال أنه قال : لقد نزلت الآية ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ في أناس من صحابة النبي ﷺ ، فقد ذكر أنه قال : **«كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء ، فنزلت فيهم هذه الآية»** (١) ولقد وصى

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى عام ٧٧٤هـ، الاختصار والتحقيق للشيخ محمد على الصابوني، جـ٣، ص٧٥، طبعة دار القرآن الكريم . بيروت - لبنان .

رسول الله ﷺ أمته بالتمسك بسنته وسنه أصحابه رضوان الله تعالى عليهم من بعده ، والبعد عن مسالك البدع ومواطن الضلالات ، فقد روى عن أبى نجيح العرباص بن سارية -رضى الله عنه- أنه قال : صلى بنا رسول ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال ﷺ : **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن (أي وإن كان) عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»** (١) .

وروى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْل بالنَّعْل ، حتى إن كان منهم من أتى أُمَّه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة»** ، قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : **«ما أنا عليه وأصحابي»** (٢) .

وروى عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال : **«سألت ربي عن اختلاف أصحابى من بعدي ، فأوحى إليَّ يا محمد : إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم من السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور ، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو على هدى»** ثم قال النبي ﷺ : **«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»** (٣) .

وروى عن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- أنه قال : **إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمدًا ﷺ فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ، ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار له أصحابًا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ﷺ ، فما رآه المؤمنون حسنا فهو حسن ، وما**

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود واللفظ له ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي جـ٥ ، برقم ٢٦٧٦ ، ص٤٣ ، سنن أبى داود ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، برقم ٤٦٠٧ ، ص٢٠٠ .

(٢) رواه الترمذي ، جـ٥ ، برقم ٢٦٤١ ، ص٢٦ .

(٣) أخرجه رزين عن عمر بن الخطاب ، كما جاء في مجمع الفوائد جـ٢ ، ص٢٠١ ، مشار إليه في حياة الصحابة للكاندهلوى جـ١ ، ص٥ ، ٦ ، وفي (كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) للإمام الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى عام ١١٦٢هـ ، جـ١ ، برقم ٣٨١ ، ص ١٣٢ ، الطبعة الثانية عام ١٣٥١ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح [(١)] .

وروى عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال : من كان مستنًا فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة [(٢)] .

وروى عن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- أنه قال لبعض الصالحين : أنتم أكثر صياما وأكثر صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم كانوا خيرا منكم ، قالوا : لِمَ يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة [(٣)] .

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن قتادة قال : سُئل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون ؟ قال : نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال [(٤)] .

وقد أخرج الطبراني عن ربعى بن حراش قال : استأذن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- على معاوية ، وكان بجواره سعيد بن العاص يجلس عن يمينه ، فَلَمَّا رآه معاوية مقبلا قال : يا سعيد لألقين على ابن عباس مسائل يعيى بجوابها ، فقال له سعيد : ليس مثل ابن عباس يعيى بمسائلك ، فلما جلس ابن عباس قال له معاوية : ما تقول في أبي بكر - رضى الله عنه - ؟ قال ابن عباس : رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تاليا ، وعن الميل نائيًا ، وعن الفحشاء ساهيًا ، وعن المنكر ناهيا ، وبدينه عارفا ، ومن الله خائفًا ، وبالليل قائمًا ، وبالنهار صائما ، ومن الدنيا سالمًا ، وعلى عدل البرية عازمًا ،

---

(١) ذكره أبونعيم في الحلية جـ١ ، ص٣٧٥ ، وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب جـ١ ، ص٦ ، وأخرجه الطيالسي ص٣٣ ، مشار إليه في حياة الصحابة جـ١ ، ص١٧ ، ١٨ . كما رواه الطبراني في المعجم الكبير ، جـ٩ ، رقم ٨٥٨٣ ، ١١٢ ، ١١٣ ، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي ، مطبعة الأمة ببغداد .

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية جـ١ ، ص٣٠٥ ، حياة الصحابة للكاندهلوى جـ١ ، ص١٨ .

(٣) جاء في الحلية جـ١ ، ص٣٠٥ ، وجاء في حلية الأولياء جـ١ ، ص١٣٥ ، مشار إليه في حياة الصحابة للكاندهلوى جـ١ ، ص١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) أخرجه أبونعيم في الحلية ، جـ١ ، ص٣١١ ، وذكره الكاندهلوى في حياة الصحابة (جـ١ ، ص٢٠) .

وبالمعروف آمرًا وإليه صائرًا، وفي الأحوال شاكرًا ، ولله في الغدو والرواح ذاكرًا ، ولنفسه بالمصالح قاهرًا ، فاق أصحابه ورعا وكفافا وزهدًا وعفافًا وبرًا وحياطة وزهادة وكفاءة ، فأعقب الله من ثلبه اللعائن إلى يوم القيامة ، قال معاوية : فما تقول في عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ؟ قال ابن عباس : رحم الله أبا حفص كان والله حليف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومحل الإيمان ، وملاذ الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ، للخلق حصنا ، وللبأس عونًا ، قام بحق الله صابرا محتسبا حتى أظهر الله الدين وفتح الديار ، وذكر الله في الأقطار والمناهل وعلى التلال وفي الضواحي والبقاع ، وعند الخنى (أي عند الفحش من القول) وقورا ، وفي الشدة والرضاء شكورًا ، ولله في كل وقت وأوان ذَكُورًا ، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة ، قال معاوية : ما تقول في عثمان بن عفان -رضى الله عنه- ؟ قال ابن عباس : رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الحفدة ، وأوصل البررة ، وأصبر الغزاة ، هجادًا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر الله، دائم الفكر فيما يعنيه الليل والنهار ، ناهضا إلى كل مكرمة ، يسعى إلى كل منجية فرارا من كل موبقة ، وصاحب الجيش [1] والبئر [2] وختن المصطفى ﷺ على ابنتيه ، فأعقب الله من سبَّه الندامة إلى يوم القيامة ، قال معاوية : فما تقول في علي بن أبي طالب -رضى الله عنه- ؟ قال ابن عباس : رحم الله أبا الحسن كان والله عَلَم الهدى و وكهف التقى ، ومُحَلَّ الحجى [3] وطود البهاء [4] ونور السرى في ظلم الدجى ، داعيا إلى المحجة العظمى ، عالما بما في الصحف الأولى ، وقائما بالتأويل والذكرى، متعلقا بأسباب الهدى ، وتاركا للجور والأذى ، وحائدا [5] عن طرقات الردى، وخير من آمن واتقى ، وسيد من تقمص وارتدى ، وأفضل من حج وسعى ، وأسمع من عدل وسوَّى ، وأخطب أهل الدنيا بعد الأنبياء والنبي المصطفى ﷺ ، فهل يوازيه موحد ، وزوج خير النساء، وأبو السبطين ، لم تر عيني مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء ، من لعنه فعليه لعنة الله والعباد إلى يوم القيامة ، قال معاوية : فما تقول في طلحة والزبير -رضي الله عنهما- ؟ قال ابن عباس : رحمة الله عليهما كانا والله عفيفين ، برَّين

---

(١) باعتبار أن سيدنا عثمان رضي الله عنه قد جّهز بمفرده جيش العسرة في غزوة تبوك .

(٢) على أساس أنه أيضا قد اشترى بئر رومة لسقاية المسلمين بالمدينة،

(٣) مُحَلَّ الحجى : أي يزينه العقل والمنطق .

(٤) طود البهاء : كثير الجمال والحُسْن .

(٥) حائدًا : أي مائلًا .

مسلمين طاهرين متطهرين، شهيدين، عالمين ، زلاً زلة والله غافر لهما إن شاء الله بالنصرة القديمة والأفعال الجميلة ، قال معاوية : فما تقول في العباس ؟ قال ابن عباس : رحم الله أبا الفضل كان والله صنو أبى رسول الله ﷺ (أي عم النبي ﷺ) ، وقرة عين صفى الله ، كهف الأقوام ، وسيد الأعمام ، قد علا بصرا بالأمور ونظرا بالعواقب ، قد زانه علم ، قد تلاشت الأحساب عند ذكر فضيلته، وتباعدت الأنساب عند فخر عشيرته، ولِمَ لا يكون كذلك وقد ساسه أكرم من دبَّ وهبَّ عبد المطلب أفخر من مشى من قريش وركب (١) .

وإليك عزيزي القارئ الكريم أقدم أيضًا عددًا من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تبين لنا فضل ومكانة أقطاب صحابة رسول الله ﷺ وعلى رؤوسهم أبى بكر الصديق, وعمر بن الخطاب, وعثمان بن عفان -رضى الله عنهما- وعن سائر الصحابة أجمعين ، ولقد خصصت هؤلاء الشموع الثلاثة بالذكر من بين صحابة رسول الله -رغم أنهم جميعهم كالشموع بأيهم نقتدي نهتدي ، لأنهم خير من اقتدى برسول الله ﷺ بلا إفراط أو تفريط - ، لأن بعض الجاهلين يخصونهم بالسب والطعن من بين صحابة رسول الله ﷺ ، وإن كان سائر الصحابة لا يسلمون من سوء ألسنتهم وشرور أقوالهم .

اولا : ما ورد عن مناقب سيدنا ابى بكر وسيدنا عمر بن الخطاب

١ - روى عن عبد الله بن شقيق أنه قال : قلت لعائشة -رضى الله عنه- : أيُّ أصحاب رسول الله ﷺ كان أحبَّ إلى رسول الله ؟ قالت : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قالت : عمر ، قلت : ثم من ؟ قالت : ثم أبو عبيده بن الجراح ، قلت : ثم من ؟ قال : فسكتت (٢) .

٢ - روى عن سيدنا أبي هريرة -رضى الله عنه- أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله به يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبى بكر ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن صاحبكم خليل الله»** (٣) .

---

(١) أخرجه الطبراني عن ربعى بن حراش، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩، ص١٦٠، ومشار إليه في حياة الصحابة لكاندهلوى ج١، ص٢١، ٢٢، ٢٣ .
(٢) رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح، ج٥، برقم٣٦٥٧، ص٥٦٦، ٥٦٧ .
(٣) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب، ج٥، رقم ٣٦٦١، ص٥٦٨، ٥٦٩ .

٣ - روى عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الساطع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**» [١].

٤ - روى عن حذيفه بن اليمان -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[٢].

٥ - روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم ودخل المسجد، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما، وقال: «**هكذا نبعث يوم القيامة**» [٣].

٦ - روى عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**» [٤].

٧ - وروى عن عبدالله بن حنطب -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: «**هذان السمع والبصر**»[٥].

٨ - روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان**»، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي، ما على من دُعي من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال النبي ﷺ: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**» [٦].

٩ - روى عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب -رضوان الله تعالى عليهم

---

(١) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن، جـ٥، برقم ٣٦٥٨، ص٥٦٧.
(٢) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن، جـ٥، برقم ٣٦٦٢، ص٥٦٩.
(٣) رواه الترمذي، جـ٥، برقم ٣٦٧١، ص٥٧٢.
(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، جـ٥، برقم ٣٦٧٠، ص٥٧٢.
(٥) رواه الترمذي، جـ٥، برقم ٣٦٧١، ص٥٧٢.
(٦) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٥، برقم ٣٦٧٤، ص٥٧٣، ٥٧٤.

جميعا – قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر ، فقال رسول الله ﷺ: **«هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، يا علي لا تخبرهما»** (١) .

١٠- روى عن زيد بن أسلم عن أبيه: قال: سمعت عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالا ، فقلت اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقته يوما ، قال: فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك»** ؟ قلت: مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك»** قال أبو بكر: أبقيت لهم الله ورسوله ، قلتُ (أي سيدنا عمر): والله لا أسبقه إلى شيء أبدا (٢).

١١ – عن أبي سعيد الخدري -رضى الله عنه- قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض ، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل ، وأما وزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر»** (٣) .

١٢ – روى عن جابر بن عبدالله -رضى الله عنه- أنه قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر: أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر»** (٤) .

١٣ – روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«قد يكون في الأمم محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فعمر بن الخطاب»** (٥) .

١٤ – روى عن عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- أن النبي ﷺ قال: **«يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فأطلعَ** أبو بكر ، ثم قال: **«يطلع عليكم رجل من أهل الجنة» فأطّلع** عمر (٦) .

---

(١) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، جـ٥، برقم ٣٦٦٥، ص٥٧٠ .
(٢) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٥، برقم ٣٦٧٥، ص٥٧٤ .
(٣) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب، جـ٥، برقم ٣٦٨٠، ص٥٧٦ .
(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، جـ٥، برقم ٣٦٨٤، ص٥٧٧ .
(٥) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث صحيح، جـ٥، برقم ٣٦٩٣، ص٥٨١ .
(٦) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، جـ٥، برقم ٣٦٩٤، ص٥٨١ .

١٥ - روى عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- أن النبي ﷺ قال : «**دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب, فظننت أني أنا هو ، فقلت ومن هو؟ فقالوا : عمر بن الخطاب**» (١) .

١٦ - روي عن النعمان بن بشير عن أبيه عن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله عز وجل جعل الحق على لسان عمر وقلبه**» (٢) .

ثانيا : ما ورد من الأحاديث والآثار عن مناقب سيدنا عثمان بن عفان

١ - عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- عنه قال : صعد رسول الله ﷺ أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فقال رسول الله ﷺ : «**أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**» (٣) .

٢ - روى عن طلحة بن عبيد الله -رضى الله عنه- أنه قال : قال النبي ﷺ : «**لكل نبي رفيق ، ورفيقي في الجنة عثمان**»(٤) .

٣ - روى عن عبد الرحمن بن خباب -رضى الله عنه- أنه قال : شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العُسرة ، فقام عثمان بن عفان ، فقال : يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حضَّ على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليَّ ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فأنا (أي عبد الرحمن بن خباب) رأيتُ رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول : «**ما على عثمان ما عمل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه**» (٥) .

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، جـ٥ ، برقم ٣٦٨٨ ، ص٥٧٨ ، ٥٧٩ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، جـ١٩ ، برقم ٧٠٧ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، جـ٥ ، برقم ٣٦٩٧ ، ص٥٨٣ .

(٤) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوى فهو منقطع ، جـ٥ ، برقم ٣٦٩٨ ، ص٥٨٣ .

(٥) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث السَّكَن بن المغيرة ، جـ٥ ، برقم ٣٧٠٠ ، ص٥٨٤ .

٤ – روى عن أبى موسى الأشعري -رضى الله عنه- أنه قال: انطلقت مع النبي ﷺ فدخل حائطًا للأنصار فقضى حاجته، فقال لي: **«يا أبا موسى أمْلِكْ على الباب فلا يدخلن عليَّ أحد إلا بإذن»**، فجاء رجل يضرب الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، قال: **«ائذن له وبشره بالجنة»** فدخل وبشرته بالجنة، وجاء رجل آخر فضرب الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر، فقلت يا رسول الله هذا عمر يستأذن، قال **«افتح له وبشره بالجنة»** ففتحت الباب وبشرته بالجنة، فجاء رجل آخر فضرب الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عثمان، فقلت: يا رسول الله هذا عثمان يستأذن، قال: **«افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»** (١).

٥ – روى عن ثمامة بن حَزْن القشيري قال: شهدتُ حين أشرف عليهم عثمان بن عفان – رضى الله عنه –، فقال لهم عثمان: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألَّبَاكم عليَّ، قال فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران، قال فأشرف عليهم عثمان فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال: من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي؟ فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر، قالوا: اللهم نعم، قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: **«من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة»**؟ فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين، قالوا: اللهم نعم، ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه (أي ركض رسول الله الجبل برجله الشريفة) وقال: **«اسكن فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»**؟ قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثا (٢).

---

(١) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن أبى عثمان النَّهْدِيِّ، جـ٥، برقم ٣٧١٠، ٥٨٩.

(٢) رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن عثمان، جـ٥، برقم ٣٧٠٣، ص٥٨٥، ٥٨٦.

٦ – روى أبو عوانة عن عثمان بن عبدالله بن مَوْهب أن رجلا من أهل مصر حجَّ البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء؟ قالوا: قريش. قال: فمن هذا الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء فحدثني، أنشدك الله بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم، قال: أتعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال أتعلم أنه تغيب يوم بدر فلم يشهد، قال: نعم، قال الرجل: الله أكبر، فقال له عبدالله بن عمر: تعالى أُبيِّنْ لك ما سألت عنه: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله قد عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه يوم بدر فإنه كانت عنده أو تحته ابنة رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ «لك أجر رجل شهد بدرا أو سهمه»، وأمر أن يَخْلُفَ عليها وكانت عليلة، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه رسول الله ﷺ مكان عثمان، بعث رسول الله ﷺ عثمان إلى مكة وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة. قال (أي عبد الله بن عمر): فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» وضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان»، قال له: أذهب بها الآن معك (١).

٧ – روى عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– أنه قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان (٢).

٨ – روى عن أبي سَهْلَة قال: قال عثمان يوم الدار: إن رسول الله ﷺ قد عهد إليَّ عهدا فأنا صابر عليه (٣).

٩ – روى عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أنه قال: لما أُمِرَ رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى أهل مكة. قال: فبايع الناس، قال: فقال رسول الله ﷺ إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم (٤).

---

(١) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٥، برقم ٣٧٠٦، ص٥٨٧، ٥٨٨.
(٢) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب، جـ٥، برقم ٣٧٠٨، ص٥٨٨.
(٣) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث إسماعيل بن أبي خالد، جـ٥، برقم ٣٧١١، ص٥٩٠.
(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، جـ٥، برقم ٣٧٠٢، ص٥٨٥.

وعلى الرغم من كثرة الأحاديث النبوية (والتي ذكرت النزر اليسير منها) التي تبرز لنا علو مقام صحابة رسول الله وسمو مكانتهم عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ ، إلا أننا نجد أشباه البشر من أهل الكفر والضلال يسبونهم ويعيبونهم ويرمونهم بأشنع الأوصاف وأبشعها، وحسبهم ما جاء عنهم وعن أمثالهم من عقاب في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨][١] .

ولقد تنبأ النبي ﷺ بأن صحابته سيتعرضون للسب والطعن من بعض الجهال بعد موته فحذر من التطاول على هؤلاء الصحابة الأخيار ورهب منه أيما ترهيب ، حيث جعل إيذاء صحابته بالسب أو اللعن أو الطعن إيذاء له ﷺ وإيذاء لله رب العالمين ، وأنذر من يؤذيهم بالعذاب الأليم في الآخرة والسخط والغضب في الدنيا ، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَ**[٢] **أحدهم ولا نصيفه**»[٣] ، وقال أيضا «**الله، الله**[٤] **في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبَّهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد**

(١) الآيتان ٥٧ ، ٥٨ من سورة الأحزاب .

(٢) المد: هو مقدار كف اليد . فمهما بلغ إيمان العبد منا ، ومهما نشطت طاعته وعبادته فلن يبارى أدنى صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ في المنزلة والفضل، وكيف لا وهذا هو ما أكده رسول الله ﷺ حينما أخبرنا بأن العبد لو أنفق في سبيل الله ملء الأرض ذهبا ما ارتقى إلى منزلتهم وفضلهم، وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أن إيمان أبى بكر لا يضاهى بإيمان أحد من أمته، بل إنه لا يضارع ولو بإيمان الأمة كلها، حيث يقول: «**لو وزن إيمان أبى بكر وإيمان الناس لرجح إيمان أبى بكر**» (رواه العلجوني في كتابه كشف الخفاء، جـ٢، برقم ٣٦٥، ص١٦٦)، ويقول النبي ﷺ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**لو كان بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب**» (رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق مُشَرِّح بن هاعان) جـ٥، برقم ٣٦٨٦، ص ٥٧٨) .

(٣) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٦٥٨، ص٢١٤، وابن ماجه، ط١، (برقم ١٦١، ص ٥٦) .

(٤) يكرر النبي ﷺ لفظ الجلالة في أول الحديث ليذكر الناس من أمته بأن يتقوا الله في صحابته ويراقبونه في خير خلقه بعده ﷺ، وكأنه يقول لهم: أنشدكم الله أن تتقوا الله في أصحابي أو أذكركم بالله خيرا فيهم فتنزلونهم قدرهم الذي رضيه لهم الله ورسوله، فهم مصابيح هذه الأمة وقدوتها بعد رسوله ﷺ .

أذى الله ، ومن أذى الله أوشك أن يأخذه»(١) .

وحذَّر الرسول ﷺ في غير مرة من عاقبة التطاول على صحابته الكرام بالسب أو الطعن، حيث تلحق المتطاول لعنة الله عز وجل وملائكته والناس أجمعين فيبوء بالخسران المبين في الدنيا والآخرة ، فلا يقبل الله منه عدلا ولا صرفا يوم القيامة ، وتصديقا لذلك روى عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا ، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا**» (٢) .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «**احفظوني في أصحابي وأصهاري، فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه**» (٣) . ويوجب رسول الله ﷺ على المؤمنين الحافظين لمقام صحابته -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- ، مقاطعة أهل الفسق والنفاق ممن يخوضون في الصحابة الأطهار بالطعن والسب، مقاطعة عامة ، جزاءً وفاقًا لسوء صنعيهم وعقابا وسخطا على سوء أدبهم وقلة حيائهم مع خير خلق الله عز وجل بعد رسوله ﷺ وبقية أنبيائه ورسله ، فلم يجز صلى ﷺ مؤاكلتهم أو مشاربتهم أو التناكح معهم أو الصلاة عليهم أو معهم ، وكيف لا وقد قطعوا ما بينهم وبين الله ورسوله من وشائج المحبة والود ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : «**إن الله اختارني واختار لي أصحابا وإخوانا وأصهارا ، وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم ، فلا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ، ولا تناكحوهم ، ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم**» (٤) .

ولا جرم أنه كما تجب على المؤمنين محبة الله -عز وجل- ومحبة رسوله ﷺ ، ومحبة عباده الصالحين الأبرار ،فإنه تجب عليهم أيضا مباغضة ومعاداة كل مظاهر العبادة لغير الله التي يدعو بها الكافرون ، وأهل الكفر والفسق والنفاق ، عملا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ٤، ص٨٧، جـ٥، ص ٥٥، ٥٧ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن ساعدة .

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن عياض الأنصاري وكانت له صحبة برسول الله، جـ١٧ ، برقم ١٠١٢ ، ص ٣٦٩ .

(٤) أخرجه البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة :٢٢] .

وإني لأنتهز الفرصة لدعوة رؤساء تلك الفرق الضالة بأن ينتهوا خيرا لهم ، حتى لا يستمروا في هذا الزيغ والضلال المبين ، فالعودة إلى الحق والإنابة إليه خير من التمادي في الباطل (١) ، كما أحذر الشباب المسلم من شرورهم ومعسول كلامهم ، أيعقل مثل هذا الفكر الشاذ في حق لآلئ الأمة المحمدية ومصابيحها؟! ، وكيف سولت لهم أنفسهم أن يفتروا ذلك على صحابة النبي ﷺ؟! ، أيتصور أن يخادع الله -عز وجل- نبيه (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) فيبتليه بصحابة يكونون معه في حياته كالملائكة ثم يمرقون من الدين فيتحولون بعد موته إلى شياطين؟! ، أنىَّ لعاقل أن يهديه فكره إلى مثل هذا التصور الضال الذي لا يخلو من مظاهر الشطط المبين ، ولكن لا عجب فإن القلوب إذا عمهت فاق ضلالها كل تصور وجاوز كفرها كل منطق .

ولا جرم أن سباب الفرق الضالة لصحابة النبي ﷺ ليس سلوكا شنيعًا مستحدثا ، فهذا دأبهم منذ القدم ، وبالتحديد منذ أن اتخذ عبدالله بن سبأ ومشايعوه من التشيع لآل البيت ستارا للنيل من أبى بكر وعمر وعثمان -رضوان الله تعالى عليهم- ، وللطعن في الدين كله ، قاتلهم الله أنىَّ يؤفكون ، وقد روى أنه لما أحدثت الشيعة البدع في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضى الله عنه- ردهم في ذلك ، وكانت آنذاك على طوائف ثلاث ، غالية (أي المغالون)، وسبابة ، ومفضلة ، فأما الغالية فقد حرقهم بالنار رضى الله عنه ، وذلك يرجع إلى أنه خرج ذات يوم من باب كندة (أحد أبواب الحرم المكي) فسجد له أقوام، فاستنكر عليهم صنيعهم قائلا لهم : ما هذا ؟ فقالوا : أنت هو الله ، فاستتابهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثلاثا فلم يرجعوا عن كفرهم وضلالهم ، فأمر في اليوم الثالث بأخاديد فخدت وأضرمت فيها النيران ثم قذفهم فيها ، وأنشد قائلاً :



---

(١) فالمؤمن مأمور بتوجيه الدعوة إلى الله للناس جميعا برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، لعل الله يهدى بها كافرا بعد ضلال أو عاصيا بعد فسق وفجور ، فلأن يهدي الله بدعوتي هذه واحد خير لي من الدنيا وما فيها ، اللهم وفقني وغيري من المؤمنين إلى أن أكون هاديا مهتديا وأعوذ بك وإخواني من المؤمنين من الضلال والإضلال ، وكيف لا يدعو المؤمن كل الناس إلى الهداية حتى من ضلَّ منهم ، وقد أمر الله عز وجل نبيَّه موسى أن يدعو فرعون إلى الهدى وهو - سبحانه وتعالى - يعلم أنه لن يهتدي أبدا لتكون دعوة موسى حجة عليه يوم القيامة ، فقال عز من قائل ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات :١٧-١٩] .

لما رأيت الأمر أمرا منكـرا أججت ناري ودعوتُ قنبـرا

وقد قيل: إنه لما علم ابن عباس رضي الله عنهما بما فعله أمير المؤمنين بالغالية قال: لو كنت أنا مكانه لم أحرقهم بالنار لنهي النبي ﷺ أن يعذب أحد أحدا بعذاب الله وهو النار، ولضربتُ أعناقهم عملا بقول النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» (١)، وزاد البيهقي أنه لما بلغ ذلك عليًا رضي الله عنه قال: ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات (٢).

وأما السبابة فقد قيل أنه لما بلغ أمير المؤمنين علي بن أبى طالب -رضى الله عنه- أن ابن سبأ يسب أبا بكر وعمر -رضى الله عنهما- طلب قتله، ففر ابن سبأ إلى قرقيسا، وطلب من أمرائه أن يقبضوا عليه ويحضروه له ليعاقبه على جرمه ولكن لم يكن الأمراء يطيعونه في كل أمر يأمرهم به.

وأما المفضلة وهم الذين يفضلون عليًا على أبى بكر وعمر، وهؤلاء الضالون قال عنهم سيدنا علي -رضي الله عنه- وعن غيرهم ممن يقولون قولهم: لا أوتى بأحد يفضلني علي أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى، وكيف لا وقد روى عنه رضي الله عنه (أي عن سيدنا علي) أكثر من ثمانين وجها أنه قال: خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وخير الناس بعد أبي بكر عمر (٣).

حكم من سبَّ الصحابة أو كفرهم أو انتقصهم:

لقد روي عن أبي ذرعة وهو أجل شيوخ الإمام مسلم أنه قال: إذا رأيت الرجل ينتقص امرءًا من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق، والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به أليق والحكم عليه

---

(١) سنن أبي داود المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٣٥١، ص ١٢٦، باب ٢٥، من كتاب الحدود، وسنن النسائي الباب ١٤ من التحريم، وسنن ابن ماجة باب ٢ من كتاب الحدود جـ٢، برقم ٢٥٣٥، ص ٨٤٨، ومسند الأمام أحمد بن حنبل جـ١، ص٢، ٧، ٢٨٣، ٣٢٣، جـ٥، ٣٢١، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، جـ ١٢، برقم ٦٩٢٢، طبعة دار الفكر.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي جـ ٨، ص ٢٠٢، طبعة دار الفكر.

(٣) رواه ابن ماجة جـ١، رقم ١٠٦، ص ٣٩.

بالزندقة والضلال أقوم وأحق ، وقال العلامة ابن حمدان في (نهاية المبتدئين) : من سبَّ أحدًا من الصحابة مستحلاً (أي مستحلاً سبابهم) كَفُرَ ، وإن لم يستحل فسق ، وعنه أنه يكفر مطلقًا (أي سواء كان مستحلاً سبابهم أوغير مستحل له) ، ومن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر(١) .

* * *

(١) انظر في ذلك : شرح عقيدة السفاريني ج٢ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، مشار إليه لدى الدكتور / صالح ابن فوزان الفوزان في مؤلفه (كتاب التوحيد) ص ٩٦ ، طباعة ونشر وتوزيع جمعية البر بشمال الرياض .

الفصل الرابع
سباب الدهر

لقد حرَّم الإسلام سباب الدهر في أي صورة من صوره (أي سواء قصد المتساب مسبة مطلق الدهر أو قصد مسبة جزء منه كسنة أو شهر أو يوم) ، ويحدث ذلك الفعل الشنيع عادة من المرء حين تنزل به نازلة أو تحل به كارثة من مقادير الله عز وجل له ، وهو في حقيقته في هذا الفعل البشع لا يخلو من أحد قصدين آثمين إثما عظيما ، فهو إما أنه يقصد من سباب الدهر سباب ربه عز وجل في أحد خلقه وهو الدهر أو الزمن ، وهذا جرم عظيم أن يتطاول المرء على ربه جلَّ وعلا من خلال اعتراضه على ما قدره الله وأجراه في الدهر كواحد من مخلوقاته ، وإما أن يحمل سلوكه من السب على معنى الإشراك بالله تعالى فيسب الدهر معتقدا تدخله فيما حلَّ به أو نزل عليه من بلاء ، وهذا أيضا حرام شرعا ، ذلك أن المتساب إذا كان يعتقد أن الله وحده هو الفاعل لما أصابه من بلاء ، فإنه بسبابه للدهر يكون قد قصد حقيقة سباب الله عز وجل الفاعل لما حلَّ به من مصيبة عند سبابه للدهر في الظاهر ، لاسيما مع تمام الاعتقاد أن الدهر مخلوق مثله لا دخل له فيما نزل به أو حدث له من أقدار الله ، أما إذا اعتقد المتساب عند سبه للدهر أن الدهر فاعل للبلاء أو مساهم في نزوله مع الله عز وجل فهو بذلك كافر بربه أو مشرك به ، فالله عز وجل هو المتفرد دون سواه بتصريف شئون خلقه ، فلا ينازعه في ذلك أحد ، سبحانه وتعالى يقدر على كل أحد ولا يقدر عليه أحد .

ويعجب الله عز وجل من عبده الذي خلقه وسوّاه وأكرمه بهداه [1] أنّى له أن يتجرأ عليه في عليائه وكبريائه بسبابه وشتمه من خلال نسبة القدر إلى أحد مخلوقاته كالدهر ثم سباب الدهر حينما يكون القدر الذي نزل به لا يروق له ، إذ يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**» [2] ، ويقول

---

(١) وينبغي أن يكون ماثلا في الذهن أن تعجب الله عز وجل من سباب ابن آدم للدهر تعجب العليم الخبير وليس تعجب من يفاجأ بسلوك لا يحيط به علما ولا يتوقع له حدوثا ، ولذلك يحمل التعجب على معنى الاستنكار لا على الاندهاش الذي يصيب المرء عندما يفاجأ بما لا يتوقع ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويعلم كل ما كان ، وكل ما سيكون ، وكل ما لم يكن لو أنه كان كيف كان يكون .

(٢) صحيح مسلم جـ٤ ، ص١٧٦٢ ، طبعة عام ١٤٠٣هـ-١٦٨٣م ، دار الفكر بيروت لبنان ، وسنن أبى داود ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، برقم ٥٢٧٤ ، ص٣٦ .

النبي ﷺ : **«لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»** (١) .

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه مما لا يخفى عن ذوي الألباب والعقول البصيرة ، أن قول الله عز وجل في الحديث القدسي : **«أنا الدهر»** أو قول النبي ﷺ في الحديث النبوي : **«فإن الله هو الدهر»** قول له تقدير آخر مغاير للمعنى الظاهر الذي قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، إذ يستحيل أن يكون المقصود من ذلك المعنى الظاهر من القول أن الله هو الدهر ، تعالى الله عز وجل عن أن يتمثل سبحانه وتعالى في مخلوق من مخلوقاته كالدهر أو غيره ، ولذا فإن المنطق السليم يحتم أن يكون التقدير الصحيح لهذا القول أن الله يقصد في هذا الحديث القدسي الشريف : **«القول بأنه الله خالق الدهر يقلب الليل والنهار»** وأن النبي ﷺ يقصد في حديثه القدسي أن الله هو رب الدهر فلا تسبوا الدهر ، لأن الدهر صنعته وخلقه والصانع أو الخالق يغضب عند سباب ما خلق أو صنع ، لما يحمل ذلك من عدم تكريم لما صنع الله وبرأ ، فضلاً عن عدم التقدير للخالق والصانع .

ولا جرم أن هذا المعنى واضح وجلي دون أي لبس أو غموض لمن يملك حاسة التذوق اللغوي لمراد الله عز وجل أو رسوله الكريم من القول سالف الذكر ، حيث إن الحق تبارك وتعالى أو رسوله الكريم قد قصد تعظيم حرمة سباب الدهر كواحد من مخلوقات الله عز وجل ، ذلك أن الدهر مخلوق ويستحيل أن يكون المخلوق خالقا ، والدهر لا يملك إنزال ضر أو رفعه ، فكأن الله عز وجل (أو رسوله ﷺ في الحديث النبوي) يقول لنا إن سبابكم للدهر هو في الحقيقة سباب لي ، لأن الدهر خلق من خلقي لا يملك لكم ضرّا ولا نفعًا ، وأنا الفاعل الحقيقي لما ينزل بكم من بلاء ، وأنا وحدي الذي أرفعه عنكم ، والدهر لا حيلة له في ذلك ، وبذلك يستحيل أن يكون المقصود هو المعنى الظاهر بأن الله هو الدهر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وسأضرب لك مثالا لمزيد من الإيضاح ، ولله المثل الأعلى حينما يصنع العبد منا صنعة معينة ، ثم يقول : **«أنا صنعتي»** فهل تفهم من هذا القول الظاهر أن الصانع هو المصنوع ، أم أنك على الفور تستبعد هذا المعنى الظاهر لهذا القول ، وتصل بعقلك السليم إلى أن لهذا القول معنى آخر حقيقيا غير المعنى الظاهر ، حيث إنه يقصد من إضافة نفسه إلى صنعته تشريف هذه

(١) رواه مسلم في صحيحه، جـ٤، ص١٧٦٣ .

الصنعة وتعظيمها بإضافتها إليه ، وكأنه يقول للناس هذه صنعة تشهد لي بأني صانعها فهي أنا ، وأنا هي ، فمن مدحها وأثنى عليها فقد مدحني ، ومن ذمها أو سبها أو عاب عليها فقد أوقع ذلك عليَّ باعتباري أنا الصانع لها .

ولا ريب في أن سباب العبد للدهر أيا كان قصده من السباب لا يخلو من مظاهر التطاول على الكبير المتعال ، فهو تجرؤ سافر على من بيده تصريف أحوال عباده خلال الدهر ، أو خلال بعض منه كسنة أو شهر أو يوم ، ولا يليق بالمسلم أن يفكر في ولوج هذا السبيل المهلك ، ولو يدرك المرء لحظة سبابه للدهر عاقبة جرمه لتمنى أن لو مات قبل أن ينطق بذلك القول ، لما في ذلك من تجرؤ وتطاول على الله العظيم ، أو تمنى على الأقل أن لو قطع لسانه قبل أن يُقْدِمَ على هذا السلوك الأثيم .

* * *

الفصل الخامس

سباب الوالدين

لا جدال في أن سباب الوالدين يعد من أشد أنواع السباب إثما وجُرْما بعد سباب الله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، ذلك أن منزلة الوالدين في الإسلام سامية ورفيعة ، وكيف لا وهما سبب في وجود الأولاد ، ولذا نجد الحق تبارك وتعالى يوجب مع عبادته وإفراده دون سواه بتلك العبادة ، الإحسان إلى الوالدين والبر بهما ، فقال عز من قائل: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦] ، كما قرن وجوب الشكر لهما بوجوب الشكر له عز وجل ، بحيث لا يعد شاكرا لله رب العالمين من لم يشكر لوالديه ، فقال عز من قائل: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤] ، كما قرن رسول الله ﷺ أيضا كلاً من عقوق الوالدين والإشراك بالله عز وجل بوصفهما من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب والآثام ، حيث روى عن أبى بَكْرَة رضي الله عنه ، أنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله ، قال «**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين**» ، وكان متكئا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما يزال يكررها حتى قلنا ليته سكت**» (١) .

وقد يكون سباب الوالدين سبابًا مباشرًا وذلك بأن يسب الولد أباه أو أمه مباشرة أي بنفسه، وهذا ذنب عظيم وعقوق مباشر مشين وقد يكون سباب الوالدين سبابًا غير مباشر، ويتحقق هذا النوع من السباب حينما يكون الولد سببا في سباب الغير لوالديه ، وإن لم يسب هو والديه بنفسه ، إلا أنه بسبابه للغير بأمه أو بأبيه ، فيرد عليه هذا الغير سبه متعمدًا إلى سب أبيه أو أمه ، وقد جعل رسول الله ﷺ هذا السباب غير المباشر مظهرا من مظاهر العقوق للوالدين ، وعدَّه من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ، فقال ﷺ: «**من أكبر الكبائر أن يشتم الرجل والديه**» ، قالوا: كيف يشتم الرجل والديه ؟ قال: «يشتم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه والترمذي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، انظر في ذلك فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ج١٠، برقم ٥٩٧٦، ص٤١٩، طبعة المكتبة السلفية، دار الريان للتراث، وسنن الترمذي، ج٤، برقم ٢٣٠١، ص٤٧٥ .

الرجلَ فيشتم أباه وأمه» (١) ، وقال أيضا : «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه**» (٢) .

ويوجب الإسلام على المؤمن أن يكون عف اللسان طيب الذكر والمقال ، لا يعرف لسانه سبيل المنازلة الوضعية التي يتراشق فيها الأشخاص بأردأ الألفاظ وأرذل العبارات ، ولذا فهو مطالب شرعا بأن يربأ بنفسه عن الوقوع في براثن السباب أو الشتم مع الآخرين ، فلا يمتنع وحسب عن مبادرة غيره بألفاظ السباب والشتم ، بل يكون من الأحرى ، به أيضا أن ينأى بنفسه عن أن يرد على أهل السوء سبابهم وشتمهم ، فيتمثل بذلك الموقوف المحمود خلق الصالحين الذين وصفهم الله عز وجل في قرآنه الكريم الخالد قائلا : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان :٦٣] ، بل إن الإسلام يدعوه إلى أن يرد السيئة بالحسنة لينال كرامة الله عز وجل ورضاه ، ويدفع الله الغيظ والبغض في نفس من عاداه فيحول عداوة الغير له محبة بمقابلته السيئة بالحسنة ، وفي ذلك يقول الحق تباركت أسماؤه : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت :٣٤-٣٥] .

ويذكر لنا الإمام الشافعي في أبيات شعرية معبرة ما يسلكه من سلوك محمود حيال من يتطاول عليه بالسب أو الشتم ، كما ينصح غيره بهذا السلوك أيضا ، وفي هذا وذاك يقول :

يخاطبني السفيه بكل قبح   فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما   كعود زاده الإحراق طيبا

ويقول أيضًا :

إذا سبني نذل تزايدت رفعة   وما العيب إلا أن أكون مسابه

---

(١) رواه البخاري في كتابه (الأدب المفرد)، ص٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، انظر إلى فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ج١٠، برقم ٥٩٧٣، ص٤١٧ .

ولو لم تكن نفسي عليَّ عزيزة لملكتها من كل نذل تحاربه

وينصح غيره قائلاً:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمدا يموت

فبذاءة اللسان ليست من خلال المؤمنين ولا من أخلاقهم وآدابهم، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول في ذلك: «**ليس المؤمن بالطَّعان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذيء**» (١)، وقد بيَّن صلوات الله وسلامة عليه أن أشد ما يمقته الله عز وجل في العبد أن يكون بذيء اللسان، فاحش القول، حيث يكون ذلك سببا في غضب الله عليه وبغضه له، كما يكون سببا في فقدانه للوصال والقرب من الله عز وجل، وفي ذلك يقول النبي صلي الله عليه وسلم: «**إن الله يبغض الفاحش البذيء**» (٢)، كما يقول أيضا: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء (وهو فاحش القول) من الجفاء، والجفاء في النار**» (٣).

ولقد اعتبر رسول الله ﷺ سباب المسلم لأخيه المسلم ضربا من ضروب الفسق والعصيان لله تعالى، حيث يقول النبي ﷺ في ذلك: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» (٤)، ويعد من أخطر أنواع السباب والطعن من المسلم لأخيه أن يرميه بالكفر، لما ينطوي عليه هذا القول الفاحش من مساس لأعز ما يملك المؤمن في دنياه ألا وهو إيمانه بربه عز وجل وسلامته من الكفر والضلال، ولذلك لا ينبغي لمؤمن أن يرمي أخاه بالكفر مهما بلغت ذنوبه أو كثرت معاصيه، مادام أنه ليس من بينها أيُّ فعل أو قول من أفعال أو أقوال الكفر البواح.

وحسبنا في مقام الردع والخوف من ولوج سبيل رمي المؤمنين بالكفر أن نعلم كيف رهب رسول الله ﷺ من هذا الخطر المستطير وهذا الذنب العظيم، حيث وضح لنا أنه متى وجه مؤمن هذه الكلمة الخبيثة إلى أخيه باء بها أحدهما، وبالتالي إذا كان

---

(١) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب، جـ٤، برقم ١٩٧٧، ص٣٠٨.
(٢) ذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه "بلوغ المرام من أدلة الأحكام" برقم ١٥٣٠، ص٣٠٥.
(٣) رواه ابن ماجة، جـ٢، برقم ٣٩٣٩، ص ١٢٩٩.
(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٤، برقم ٢٠٠٩، ص٣٢١.

الموصوف بها بريئا منها لسلامة عقيدته ونقاء دينه باء بها القائل أو الواصف جزاء وفاقا لتطاوله على أخيه في إيمانه وعقيدته ، فقد روى عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق أو الكفر ، إلا ارتدت إليه إن لم يكن صاحبه كذلك**» (١) .

* * *

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، انظر فتح الباري بشرح البخاري، جـ١٠، برقم ٦٠٤٥، ص٤٧٩، كما رواه الترمذي بلفظ (أيما رجل قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، جـ٥، برقم ٢٦٣٧، ص٢٣ .

الفصل السادس

سباب أحد مخلوقات الله الأخرى أو نعمة من نعمه سبحانه وتعالى

ولا يجوز للمؤمن أيضا أن يسب مخلوقا آخر من مخلوقات الله عز وجل أو يسب نعمة من نعمه أو نقمة من نقمه (كسبابه قدر معين من أقدار الله أو نازلة من نوازله) ، وقد حفلت السنة النبوية المطهرة بأحاديث كثيرة تحرم على المؤمنين مثل هذا السلوك الأثيم، نذكر منها على سبيل التمثيل والتبيين لا الحصر والتعيين ما يلي :

١ - ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب ، فقال لها : «**ما لك يا أم السائب ، أو يا أم المسيب تزفزفين**» [١]؟ فقالت له : الحمى لا بارك الله فيها ، فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم : «**لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد**» [٢] ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال ذكرت الحمى عند رسول الله ﷺ فسبها رجل ، فقال النبي : «**لا تسبها ، فإنها تنقي الذنوب ، كما تنقي النار خبث الحديد**» [٣] .

٢ - ما رواه أبو المنذر أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**» [٤] ، وقال أيضا في رواية أخرى : «**الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا خيرها ، واستعيذوا من شرها**» [٥] .

---

(١) أي ترتعدين فتتحركين حركة سريعة .

(٢) ذكره الإمام النووي في (رياض الصالحين) انظر (منهل الواردين شرح رياض الصالحين)، ط٢، برقم ١٧٢٤ ، ص ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ضبط وشرح د / صبيحي الصالح، ط٧، عام ١٩٧٨م، دار العلم للملايين بيروت - لبنان.

(٣) رواه ابن ماجة، جـ٢، كتاب الطب، باب الحمى، برقم ٣٤٦٩، ص١١٤٩ .

(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٤، برقم ٢٢٥٢، ص٤٥٢، وذكره الإمام النووي في رياض الصالحين، انظر (منهل الواردين شرح رياض الصالحين) للدكتور صبحي الصالح، جـ٢، برقم ١٧٢٥ ، ص٩٣٦ .

(٥) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٥٠٩٧ ، ص٣٢٦، كما رواه ابن ماجة، جـ٢، برقم ٣٧٢٧، ص١٢٢٨ .

٣ - ما روى عن أبي تميمة الهجيمي عن أبى جرى جابر بن سليم قال: رأيت رجلا يَصْدُر الناس عن رأيه ولا يقول شيئا إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم، قلت: عليك السلام يا رسول الله مرتين، قال: «**لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك**»، قال: قلت: أنت رسول الله؟ قال: «**أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشف عنك، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك**» قلت: اعهد إليَّ يا رسول الله، قال: «**لا تسبن أحدا**» قال: فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة [١].

٤ - ما روى عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**» [٢].

٥ - روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يسب برغوثًا، فقال له: «**لا تسبه فإنه نبَّه نبيًا من الأنبياء لصلاة الفجر**» [٣]، وروى الوليد بن مسلم عن أنس بن مالك أيضا أنه قال: ذكرت البراغيث عند النبي ﷺ فقال: «**إنها لتوقظ للصلاة**»[٤].

* * *

(١) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٠٨٤، ص٥٦، كما رواه الإمام أحمد في مسنده، جـ٤، ص٦٥ .

(٢) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٥١٠١، ص٣٢ .

(٣) رواه الطبراني في الدعاء، انظر في ذلك (كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) للإمام الشيخ إسماعيل بن محمد العلوجي الجراحي المتوفى عام ١١٦٢هـ، جـ٢، ص ٣٥٢، الطبعة الثانية عام ١٣٥١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

(٤) (كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس)، جـ٢، برقم ٣٠١٣، ص ٣٥٢ .

الفصل السابع
سباب الموتى

نهى رسول الله ﷺ عن سب الموتى أو شتمهم ، وحض على ذكر محاسنهم والكف عن ذكر معايبهم ومساوئهم ، فهم عباد أفضوا إلى ربهم وانقطعت عنهم أسباب الحياة الدنيا ، فإن لم نقدر على الدعاء لهم ، وهذا ما ينبغي أن يفعله المؤمن (وقد استحق المؤمنون مديح الله لهم بدعائهم للذين سبقوهم بالإيمان من إخوانهم المؤمنين ، فقال عزّ من قائل ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] فليس أقل من عدم الإساءة إليهم بالسب أو الطعن ، فهذا هو أضعف الإيمان حيال موتى المؤمنين ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«إذا مات صاحبكم فلا تقعوا فيه»** [(١)] ، وقال أيضا : **«اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم»**[(٢)] ، وقال أيضا : **«لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء»**[(٣)] .

فالسباب كله شر لا يأتي بخير أبدا ، فلا يجني المرء من ورائه إلا السوء ، لذا ينبغي علينا أن ننأى بأنفسنا عن ولوج سبيله ، فلا نبادئ أحدا به ، ولا نرد على أحد بمثله ، وصدق الشاعر إذ يعبر عن هذا المعنى قائلاً :

أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أُعيب وأن أُعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا
ومن حقر الرجال فلن يهابا ... ومن هاب الرجال تهيبوه

* * *

(١) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٨٩٩، ص٢٧ .
(٢) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٩٠٠، ٢٧٥ .
(٣) رواه الترمذي، جـ ٤، برقم ١٩٨٢، ص ٣١٠ .

الفصل الثامن
الدفاع أو الإحسان عند السب

وقد يتساءل المؤمن عن السلوك المندوب إليه شرعا عندما يتعرض لسب أو شتم من غيره، وهل له الحق في أن يرد على المتسابب أو الشاتم سبابه أو شتمه أم لا ؟

لا ريب في أن المؤمن البصير بحقارة الدنيا وهو أنها ، والمدرك لعظمة الآخرة وسمو مكانتها وشأنها سوف يتجه بقلبه وجوارحه إلى التزام جانب الإحسان والفضل في مواجهة مسابيه أو شاتمه ، معرضا عن هذا الفعل الأثيم إعراض المتعفف عن ارتياد مقام السب أو الشتم ولو على سبيل الرد لا على سبيل المبادرة به ، لينال من ربه الجزاء الأوفى في الآخرة [1]، وينأى بنفسه عن مخاوف الوقوع في الإثم عند الغلو أو التجاوز في رد السباب أو الشتم الذي تعرض له ، لاسيما وأن المرء إذا تملكه الغضب الشديد على إثر مسابيته أو شتمه من الآخرين ، عادة ما لا يملك مقومات ضبط النفس والتحكم في انفعالاته ، الأمر الذي قد يدفعه إلى الشطط والتجاوز في الانتصار لنفسه ،

---

(١) ذلك أن الدنيا مهما عظم شأنها فهي حقيرة، ومهما ارتفع مقامها وقدرها فهي وضيعة، فهي أحقر من أن يُضَحَّي من أجلها بثواب الآخرة، وصدق ربنا جلَّ في علاه إذ يقول ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى :١٦-١٧]، لاسيما وأن الثواب الذي يجزاه المرء عند الحلم على جهل وحماقة من يتناوله بالسب أو الطعن، هو أن ينال من الله عز وجل مغفرته ورضوانه ومحبته، حيث يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣-١٣٤]، فضلا عن أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة تكشف لنا عن حقارة الدنيا وتفاهتها وهوانها على الله عز وجل، إذ يقول ربنا تقدست أسماؤه ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد :٢٦] ويقول أيضا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران :١٨٥]، كما روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تَعدلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» (رواه الترمذي، جـ٤، برقم ٢٣٢٠، ص٤٨٥) وروى عن المستورد بن شداد قال كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السَّخْلَة الميتة (أي الدابة الميتة)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها» ؟ قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» (رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن، جـ٤، برقم ٢٣٢١، ص٤٨٥) .

فيضحي بهذا الغلو ظالما لمن سبه فرد عليه سبابه وزيادة ، على نحو يعرضه للعقاب من الله تعالى الملك الديان ، الذي يحاسب على مثقال الذرة من الشر كما يحاسب على مثقال الذرة من الخير (لاسيما وأن الله عز وجل وإن كان عادة ما يتسامح بفضله وإحسانه عن مثاقيل الذر من الذنوب التي تتعلق بحق من حقوقه ، فإنه سبحانه وتعالى لا يفرط قيد أُنملة عن الحساب والمؤاخذة على المثقال ذرة من الذنوب التي تمس حقا من حقوق عباده) .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال صلي الله عليه وسلم : «**إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق ، ومن الكبائر السَّبتان بالسبة**» [1] ، وبذلك تعد السَّبة الزائدة إثما عظيمًا لما تحمله من معاني الغلو في الانتصار للنفس ، وما تنطوي عليه من مظاهر التعسف في الدفاع عن الاعتداء ، لاسيما وأن الله ﷺ أوجب التماثل بين الدفاع والاعتداء دون إفراط أو تجاوز ، حيث قال جلت قدرته : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل :١٢٦] ، وقال أيضا ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة :١٩٠] .

هذا بالإضافة إلى أن العبد الذي يترفع عن مقام الفحش في القول من سباب ونحوه ولو على سبيل الانتصار لنفسه دون غلو أو تجاوز ، مبتغيا في ذلك مرضاة الله عز وجل ، وراجيا حسن ثوابه وجزائه ، سوف يناله من الله عز وجل - بمشيئته سبحانه وتعالى - الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة .

ويمكن ضرب أمثلة لذلك على سبيل التبيين والتمثيل لا الحصر والتعيين ، على النحو الآتي :-

١ - إن الله عز وجل يجند لعبده الذي يصبر على سباب أحدٍ له ملكا من ملائكته يرد عنه سباب الناس له ويدافع عن شرفه وكرامته ضد من يتطاول عليه ، وذلك عملا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨] .

(١) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٨٧٧، ص٢٦٩ .

كما روى عن سعيد بن المسيب أنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر (أي سبه وشتمه) فآذاه ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة ، فانتصر منه أبو بكر ، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر ، فقال أبو بكر : أوجِدتَ عليَّ (أي أحزنت عليَّ من الوجد وهو الحزن) يا رسول الله؟ (أي حين قمت من المجلس منصرفا بعيدا عنا) فقال ﷺ : **«نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان ، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان»** (١)

٢- أن العبد إذا كظم غيظه عمن سبَّه أو شتمه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، نال من الله

(١) رواه أبو داود، المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٨٩٦، ص٢٧٤ . ولا جرم أن موقف رسول الله ﷺ من هذا المجلس الذي تساب فيه مسلمان فوقع فيه الشيطان وارتفع عنه الملك، مما حدا برسول الله إلى مغادرة المجلس سريعا، ليعلمنا ضرورة أن نجعل مرضاة الله عز وجل نصب أعيننا في كل أقوالنا وأفعالنا، فنرضيه ولو كان في ذلك إسخاط للناس جميعهم بما فيهم المحبين لنا، لأن إسخاط الناس أهون وأصغر من إسخاط الله عز وجل، وألا نرضى الناس في سخط الله عز وجل لأن رضاهم عنا لا يدوم، حتى وإن دام فهو يبدو حقيرا إذا كان من شأنه أن يستجلب على العبد سخط الله عز وجل وغضبه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من أرضى الله في سخط النا، رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطهم في رضاه، ومن أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاهم في سخطه»** [رواه مسلم] فها هو رسول الله يغادر مجلسا يجلس فيه صاحبه وحبيبه لمجرد أنه أتى سلوكا مباحا وهو الانتصار لنفسه ضد من ظلمه فسبه دون وجه حق لأن سلوك صاحبه رغم كونه مباحًا إلا أنه كان سببا في حضور الشيطان المجلس وغياب الملك عنه، ونرى الآن الواحد منا يظل باقيا في مجلس تنتهك فيه حرمات الله عز وجل ويستطال فيه على أعراض المؤمنين ولا يبدى أي امتعاض أو استهجان لما يحدث حياء وخجلا من أصدقائه الحضور، ولا يستحي من الله عز وجل وهو الأولى بالحياء والخجل منه، ولا ينهاهم عن هذا المنكر المبين بأي وسيلة يملكها من وسائل تغيير المنكر بل ربما يبخل على نفسه بأضعف وسائل تغيير المنكر وهي استنكاره بالقلب، إذ الواجب على المسلم في هذا المقام أحد أمرين أفضلهما أن يغير هذا المنكر بأسلوب يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة راجيا من الله الثواب والأجر وليكن على يقين أنه بذلك سوف يرضى عنه الله وسوف يرضى الله عنه من نصحهم وإن أبوا فسوف يقذف الله عز وجل الرضا في قلوبهم رغما عنهم وحب هذا الناصح الأمين، فإن عجز عن تغيير المنكر بأي وسيلة من الوسائل التي حددها رسول الله ﷺ في حديثه الشريف : **«من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»** [رواه ابن ماجة، ج٢، برقم ٤٠١٣، ص١٣٣٠] فليغادر المجلس فورا حتى لا يبقى في مجلس تحفه الشياطين ولا يأمن على نفسه من غوائل مثل هذا المجلس فقد يقع في حرام أو يجره هذا المجلس إلى حرام .

الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة ، وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣-١٣٤] ، كما روى عن النبي ﷺ أنه قال : **«من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء»** (١) .

إن العبد الذي لم يقتص لنفسه ممن سبَّه أو شتمه في الدنيا ولم يعف عنه اقتص له الله عز وجل يوم القيامة ، سواء كان هذا القصاص متمثلا في حصوله على جزء من حسنات المتسابب ، أو في طرح بعض سيئاته ليحملها عنه هذا المتسابب ، هذا في الحالة التي تفنى فيها حسنات المعتدى قبل أن يؤدي ما عليه من حقوق العباد .

ويتجلى ذلك المعنى واضحا من حديث رسول الله ﷺ عن المفلس الذي يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة من صوم وصلاة وحج وزكاة وغيرهم من الأعمال الصالحات ، ثم تضيع هباءً منثوراً بسبب ظلمه للآخرين عن طريق سبهم وشتمهم وقذفهم وسفك دمائهم ، وقد يحدث أن تفنى حسناته قبل أن يقضى لأهل الحقوق حقوقهم ، فلا يكون من بد من أن يحمل بعض أوزارهم لتطرح عليه ثم يطرح في النار ، حيث يقول النبي ﷺ لأصحابه : **«أتدرون من المفلس؟»** قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال لهم صلي الله عليه وسلم : **«المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فَيُقْعَدُ فَيقْتَصَ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»** (٢) .

أما إذا عفي المؤمن عمن سبَّه أو شتمه طمعا في ثواب الله عزّ وجل ، لقي من الله ثواب الإحسان والعفو ، وهو عند الله عظيم ، فقد روى عن عقبة بن عامر قال : لقيت

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والترمذي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، سنن الترمذي، جـ٤، برقم ٢٠٢١، ص٣٢٦، ٣٢٧، كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، سنن أبي داود المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٧٧، ٢٤٨ .

(٢) راوه الترمذي، قال: هذا حديث حسن صحيح، جـ٤، برقم ٢٤١٨، ص ٥٢٩، ٥٣٠ .

رسول الله ﷺ فبدرته فأخذت بيده وبدرني فأخذ بيدي فقال يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، ألا ومن أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه فليصل ذا رحمه [١] ، كما روى أبو هريرة رضي الله عنهأن رسول ﷺ وسلم قال : «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**» [٢] .

بيدا أننا وإن كنا ننصح المؤمن بأن يكظم غيظه ويضبط نفسه حينما يبتلى بمن يسبه أو يشتمه، بل وندعو إلى أكثر من ذلك بأن يعفو ويصفح ليرقى بذلك إلى مصاف المحسنين ومقام المتقين الذين يكافئهم ربهم مكافأة عظيمة فيسبغ عليهم محبته ورضوانه عملا بقوله تعالى : ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، إلا أننا لا نستطيع أن نجحد حق المعتدي عليه بالسب أو الشتم أو غيرهما، في أن يرد هذا الاعتداء بمثله دون زيادة أو تجاوز، فهذا حقه المكفول له شرعا فإن مارسه واستعمله فلا إثم عليه، وإن كان ولوجه هذا السبيل يحرمه من ثواب العفو والصفح فيكون قد فعل خلاف الأولى له والأصون لدينه وعرضه، وهذا يكشف لنا عن عظمة هذا الدين الذي لا يتجاهل طبائع البشر، فعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «**من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء**» [٣] .

* * *

(١) رواه الحاكم في المستدرك، جـ٤، كتاب البر والصلة، ص ١٦١، ١٦٢، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

(٢) رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح، جـ٤، رقم ٢٠٢٩، ص٣٣٠

(٣) رواه أبو داود المجلد الثاني، الجزء الرابع، برقم ٤٧٧٧، ص٢٤٨ . فمن الناس من يقدر على ضبط نفسه وإحكام زمام مشاعره فلا يرد السيئة بالسيئة، بل يقابلها بالحسنى، ومنهم من لا يقدر إلا على أن يرد السيئة بالسيئة .

المراجع

١ - أبو داود: «**سنن أبى داود**» للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى، المولود فى ٢٠٢هـ- المتوفى فى ٢٧٥هـ، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.

٢ - أبو نعيم: «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**»، للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٣ - ابن حجر: «**فتح البارى بشرح صحيح البخارى**» للإمام ابن حجر العسقلانى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. «**فتح البارى بشرح صحيح البخارى**» لابن حجر، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، المطبعة السلفية بالقاهرة، دار الريان للتراث.

٤ - ابن حنبل : « **مسند الإمام أحمد بن حنبل**» للإمام أحمد بن حنبل ، طبعة دار الفكر.

٥ - ابن فوزان : « **كتاب التوحيد**» للأستاذ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، طباعة ونشر وتوزيع جمعية البر بشمال الرياض .

٦ - ابن كثير: «**تفسير القرآن العظيم**» للإمام أبى الفداء عماد الدين ابن كثير، المولود فى ٧٠١هـ- المتوفى فى عام ٧٧٤هـ، تحقيق وتخريج طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٧ - ابن ماجة: «**سنن ابن ماجة**» للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجة، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء الكتب العربية.

٨ - الأصبهانى: « **أخلاق النبى ﷺ** وآدابه»، للحافظ أبى محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن الأصبهانى، المتوفى عام ٣٦٩ هـ، دراسة وتحقيق عصام الدين سيد الصبابطى، الطبعة الأولى عام ١٤١١ هـ أ ١٩٩١م، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.

٩ - البغوى: «**معالم التنزيل فى التفسير والتأويل**»، للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى، طبعة عام ١٤٠٥ هـ أ ١٩٨٥م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٠ - البيهقى: «**شعب الإيمان**»، للإمام أبى بكر بن الحسين البيهقى، المولود فى عام ٣٨٤ هـ أ ٤٥٨ هـ، تحقيق أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠ هـ أ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١ - الترمذى: «**سنن الترمذى**» للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى ابن سورة ، المولود فى عام ٢٠٩هـ- المتوفى فى عام ٢٩٧هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت.

١٢ - الدارمي : « **سنن الدارمي**» للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله ابن عبد الله بن عبد

الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي الدارمي « **بكسر الراء** » ، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ نشر .

١٣ – الحاكم: «**المستدرك**» للإمام أبى عبد الله محمد النيسابورى المعروف بالحاكم، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.

١٤ – الخطيب: «**تاريخ بغداد**»، للحافظ أبى بكر بن على الخطيب البغدادى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان.

١٥ – الذهبى: «**كتاب الكبائر**» للإمام الحافظ شمس الدين الذهبى، تحقيق مصطفى عاشور.

١٦ – الزبيدي : «**مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح**» تأليف الإمام زين الدين أحمد عبد اللطيف الزبيدي ، مراجعة أحمد راتب عرموش ، وإبراهيم بركة ، دار النفائس ، توزيع شركة الفجر العربي . بيروت . لبنان.

١٧ – السيوطي : «**سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي**» ، طبعة عام ١٤٠٧ هـ أ ١٩٨٧م ، دار الحديث بالقاهرة .

١٨ – الشوكاني : «**نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار**» للإمام الشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٩ – الصابونى: «**مختصر تفسير ابن كثير**» اختصار وتحقيق محمد على الصابونى، الطبعة الثامنة عام ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م، طبعة دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان.

٢٠ – الصالح : «**منهل الواردين شرح رياض الصالحين**» شرح وتعليق وضبط دكتور / صبحي الصالح ، الطبعة السابعة عام ١٩٧٨م ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان .

٢١ – العجلوني : «**كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**» للإمام العجلوني .

٢٢ – الغزالى : «**إحياء علوم الدين**»، للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى عام ٥٠٥ هـ، وبذيله كتاب «**المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار**» للعلامة العراقى، تصحيح الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، الطبعة الثالثة، دار القلم، بيروت، لبنان.

٢٣ – القرطبى: «**الجامع لأحكام القرآن**»، للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى، المتوفى عام ٦٧١ هـ، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ أ ١٩٩٦م، دار الغد العربى بالقاهرة.

٢٤ - القرضاوي : «**الحلال والحرام**» للأستاذ الدكتور / يوسف القرضاوي ، الطبعة الحادية والعشرون عام ١٤١٣هـ أ ١٩٩٣م، طبع بالمطبعة الفنية ، الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

٢٥ - القرنى: «**كتاب المسك والعنبر فى خطب المنبر**» للشيخ عائض القرنى، دار الوطن بالرياض، وكتاب «**احفظ الله يحفظك**»، الناشر رسائل الإصلاح والفقه تصدر فى سلسلة عن مكتب الدعوة ببريطانيا .

٢٦ - الكاندهلوى: «**حياة الصحابة**» للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر أبيروت- لبنان.

٢٧ - المنذرى: «**الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**» للإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، المتوفى عام ٦٥٦ هـ، تحقيق وضبط مصطفى محمد عمارة، الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، دار إحياء التراث العربى، بيروت- لبنان.

٢٨ - النيسابورى: «**صحيح مسلم**»، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، مع شرحه المسمى «**إكمال إكمال المعلم**»، للإمام الوشتانى الأبى وشرحه المسمى «**مكمل إكمال الإكمال**»، للإمام السنوسى الحسينى، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠ هـ أ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٩ - فتحى يكن: «**ماذا يعنى انتمائى للإسلام**» للأستاذ فتحى يكن، الناشر مؤسسة الرسالة.

٣٠ - مالك بن أنس: «**الموطأ**» للإمام مالك بن أنس، تقديم الشيخ عارف الحاج، تحقيق سعيد محمد اللحام، مراجعة مصطفى قصاص، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *

المنـــــــار للطباعة والتغليف
٠١٢٢٤١٣٣١٦